

التماسك النصي في رواية "يوم رائع للموت" لسمير قسيمي

Textual COHEENCE IN THE NOVEL "A WONDERFUL DAY TO DIE" BY SAMIR KESSIMI

د. نكاع سعاد *

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم (الجزائر)

souad.nekkaa@univ-mosta.dz

تاريخ النشر: 2024/09/30

تاريخ القبول: 2024/09/19

تاريخ الإرسال: 2023/06/08

ملخص:

يتميز الخطاب عامة والروائي خاصة بحبكة محكمة الأوصال، نتاج احتوائه على جملة من الروابط المنطقية والدلالية، بالإضافة إلى الخواص الفنية والسردية التي يتفرد بها دون غيره من الخطابات الأدبية وغير الأدبية. وفي ذلك سبيلا لارتباط أوله بأخره. من ثم فهو أداة تربط بين الثلاثية المنتجة له: المؤلف، المتلقي والسياق أو البيئة الإنتاجية، فهذه العوامل مجتمعة تعمل على خلق نوع من حبكة متفرد و متميز في آن واحد.

إن أي قراءة أو مقارنة نقدية إنما تنطلق صوب العناصر المكونة للنص في عملية تحليل وتفسير، ومن ثم إعادة تركيب المفكك منها وإعادة تأليف مكوناتها، وهذا ما يجعل القارئ يقف على المضمرة والمبطن من هذا النص، وعلى هذا الأساس تنطلق هذه الدراسة نحو استقصاء البنى النصية وتتبع امتداد بنياتها اللغوية والدلالية والبلاغية والإبلاغية، في محاولة الكشف عن التماسك النصي للخطاب الروائي الجزائري في ضوء المقاربة اللسانية النصية. وقد وقع الخيار على رواية "يوم رائع للموت" للروائي سمير القسيمي كأنموذج.

الكلمات المفتاحية: لسانيات النص، التماسك النصي، يوم رائع للموت.

ABSTRACT : The discourse in general and the fictional discourse in particular is characterized by a well-connected plot, and as a result, it contains a number of logical and semantic links, in addition to the artistic and narrative characteristics that are unique to it over other literary and non-literary discourse. And in this is a way of linking the beginning to the end. Hence, it is a tool that links the trio that produces it : the author, the recipient and the context or the production environment. These factors together work to create a unique and distinct type of weaving at the same time.

Any reading or critical approach is based on the constituent elements of the text in the process of analysis and interpretation, and then recomposing the disassembled ones and recomposing its components. It traces the extension of its linguistic, semantic, rhetorical and informative structures, in an attempt to reveal the textual coherence of the Algerian novelist's discourse in the light of the linguistic textual approach. The choice fell on the novel "A wonderful day to die" by the Algerian novelist Samir Al-Qassimi as a model.

Keywords: linguistic the text, text coherence, A wonderful day to die.

1- تعريف لسانيات النَّص:

بداية قد يتساءل القارئ عن ماهية لسانيات النَّص، رغم أنَّ قيام هذا العلم كان منذ ستينيات القرن الماضي، إلا أننا ووفقاً للعرف المنهجي فنحن نقول بأن: لسانيات النَّص فرع من فروع اللسانيات، يدرس النَّص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وعلى هذا الأساس فهو يبرز في كينونته كنمط من التحليل يعتمد وسائل بحثية لغوية مركبة، تمتد قدرتها البحثية إلى مستوى أعلى من مستوى الجملة، بحيث تكون الانطلاقة بتفحص العلاقات القائمة بين المكونات التركيبية داخل الجملة الواحدة، من ثمّ تنتقل إلى ما وراء الجملة بمستويات ذات طابع تدريجي، تكون بدايتها من خلال البحث في العلاقات النحوية بين الجمل، وترتقي بعد ذلك إلى المستوى الدلالي و الإبلغي التواصلية لها.

والناظر المستقصي يدرك حقيقة أنَّ عمل عالم النَّص -مهما اختلفت الاتجاهات والوسائل ومميزاتها التي تستخدم في التحليل- فإنّه يرتكز أساساً على وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة، إذ يتكفل هذا المنهج الألسني النصي بدراسة بنية النصوص وكيفية اشتغالها، وذلك من منطلق مسلمة منطقية تقتضي بأنَّ النَّص ليس مجرد تتابع مجموعة من الجمل وإنما هو وحدة لغوية نوعية ميزتها الأساسية الاتساق والترابط¹، هذا يعني أنَّ حقل اشتغال لسانيات النَّص والوحدة المركزية التي يرنو إلى تحليلها هي (النَّص)، والسؤال الذي ينطلق منه الباحث في مناقشته لهذه البنية هو: ما هي المعايير الأساسية المرتكز عليها في هيكلية النَّص؟

2- معايير النصية:

إنَّ الإجابة عن هذا السؤال تتلخص في ما وسمه [روبرت دي بوجراند] بـ"معايير النصية"، والتي هي:

- 1- الاتساق: هو تلك العلاقات المنطقية (النحوية) التي تحصل بين الكلمات والجمل والعبارات داخل النص الواحد، مساهمة بذلك في تماسكه والتحام أجزائه.
- 2- الانسجام: ليس شيئاً معطى أو موجوداً في الخطاب، ينبغي البحث عنه للعثور عليه وإتّما هو شيء يبني وفق ما يؤهل المتلقي الكشف عن بعد الانسجام في واقع الخطاب أو النص، فعبارة أدق ليس هناك نصاً منسجماً في ذاته أو غير منسجماً في ذاته باستقلاله عن المتلقي. فهذا يعني أنَّ الاتساق يُدرس على المستوى السطحي، في حين يختص الانسجام بالمستوى العميق للنص.
- 3- القصديّة: يتضمن موقف منشئ النص من كونه صورة اللغة، قصد بها أن تكون نصاً يتمتع بالسبك والاتحام، وأنّ مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها.
- 4- المقبولية: يتضمن موقف مستقبل النَّص إزاء كونه صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام.
- 5- الإعلامية: تمثل الإعلامية أحد معايير النصية، ومما لا شكّ فيه أنّ كل نص يحوي قدراً من المعلومات، وتختلف درجة الإعلامية من نص إلى آخر فالواضح الجلي أنها تحكمها نوعية النصوص.
- 6- المقامية: إنّ دراسة النص لن تكون كافية بالوقوف عند بنيته النحوية، أو الدلالية الداخلية، بل لا بدّ من دراسته على مستوى الخطاب، وهذا بالاهتمام ببنية السياق والعلاقات بينها وبين النص.

7- التَّنَاص: في فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى، مما يجعل بعضها يقوم بتحديد البعض الآخر ونقضه. أو هو تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة².

3- التَّماسك النَّصي في رواية "يوم رائع للموت" لسمير القسيبي:

تعتبر اللغة أحد المكونات الرئيسيّة للخطابات الأدبية، "وهي كائن اجتماعي يتخلّق في المجتمع وتكوّن وظائفه الرئيسيّة ودلالاته الأهم ...، وأخص الرواية؛ لأنّها الكائن الأدبي الأكثر التصاقا بالعناصر الاجتماعية، وهي المنتج اللّغوي الأمثل للتعبير عن المجتمع وتمثيله"³. وعلى هذا الأساس فإنّ القارئ لرواية "يوم رائع للموت" أوّل ما يقف، يقف على تلك اللغة الأدبية البسيطة التي عمد إليها الرّوائي ليخط بها صفحات روايته، وهي حقيقة تنسجم مع طبيعة الخطاب الرّوائي الذي كان يدور حول قصص وأحداث تجري بإحدى المدن الجزائرية، وههنا نلفي الكاتب يضيف مسحة على تلك اللغة بمزجه للدرجة الجزائرية ضمن الحوارات التي كانت تجري داخل فصول الرواية وإن كانت على قلّتها، كما أنّها أكثر ما تكون مناسبة للطبقة الاجتماعية التي اختارها "القسيبي" بأن تدور أحداث الرواية في أواسطها، إذ تكاد تنعدم الطبقة المثقفة فيها، اللهم إلا ما مثله البطل "حليم بن صادق" حيث كان يعمل مراسلا لإحدى الصحف.

ومن أمثلة عبارات اللّغة الدّارجة نجد قوله:(موت سامط)، (لما كان يعرف عنه من "رجلة" و"تشوكير")، (ما تحشمش...من هديك الخامجة)، (أه يا يما واش درتي)⁴.

تنوع دراستنا للرواية وفق ما تخطّه منهجيّة لسانيات النّص وكيفية التعامل مع النّصوص، ومن ثمّ فهي تخضع لإحياءات النّص ومضمّراته وبنياته التّخييلية ومدى انبثاقه من رحم واقعه والذي يخلق له عوالمه النّصيّة، ولذا فنحن لا ندعي الإحاطة بكل جوانب الدراسة، ولكننا قمنا بتخيّر بعض الظواهر الغالبة على النّص لنضعها بين يدي القارئ في صورة مبسطة.

1.3- الاتّساق في الرواية: كما أشرنا سابقا فإنّ الاتساق هو جملة من الروابط النّحويّة التي تحكم العلاقات بين الكلمات والجمل، والخطاب الرّوائي يتفرد بخصيصة تتابع الجمل لأنّها من مقتضيات السّرد، وهو بهذه الخاصيّة وباعتباره " متواليّة من الجمل يكون منظما، وبفضل هذا التنظيم فهو يبدو بمثابة رسالة من لسان آخر يتجاوز لسان اللّغويين"⁵، ومن جملة هذه الرّوابط وفق المنظور اللّساني النّصي:

1.1.3- الإحالة: وتتم بواسطة الضمائر وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وتنقسم إلى: داخلية وخارجية (مقامية)، والإحالة الدّاخلية تنقسم إلى: قبلية وبعديّة. وإذا ما عدنا إلى الرواية نجد بأنّ الإحالة قد تمثّلت فيها بكل أنواعها وأقسامها وإن دلّ ذلك على شيء فإنّما يدلّ على التحام أجزاء النّص الرّوائي ببعضها البعض. أضف إلى ذلك أنّ الكاتب قد عمد إلى سرد الأحداث على لسان راوٍ غير شخصيات القصة وهو بذلك يجنح إلى توظيف الضمائر خاصة الغائبة منها، والجدول الآتي يبيّن لنا بعضا من أنواع الإحالات الواردة في النّص:

الإحالة	نوعها	وسيلتها (الضمير المحيل)
---------	-------	-------------------------

لحظة انفصلت قدما عن الحافة انتابه الشك في قراره (ص07)	مقامية خارجية	ضمير الغائب المتصل "الهاء"
سيؤثر على قلبه (ص 07)	قبليّة	ضمير الغائب المتصل "الهاء"
ولعل هذا ما جعله (ص07)	مقامية	اسم الإشارة "هذا"
	قبليّة	ضمير الغائب المتصل "الهاء"
فهو الوحيد الذي يعرف مقدار عمره (ص08).	بعديّة مقامية	ضمير الغائب المنفصل "هو" اسم موصول "الذي".
إلا أنه هذه المرة	بعديّة	اسم الإشارة "هذه"
لا بأس فأنا على موعد مع أحدهم هنا (ص38)	مقامية	ضمير المتكلم "أنا" ظرف مكان "هنا"
أجاب السائق وهو يظن أنه بملاحظته هذه	قبليّة قبليّة	ضمير الغائب المنفصل "هو" ضمير الغائب المتصل "الهاء" واسم الإشارة "هذه".

هذه الأمثلة من جملة الخطابات الواردة في الرواية وإن كانت على قلتها إلا أنها تعطينا تصوّرا عن مدى قوّة الترابط الذي تخلقه هذه الإحالات داخل النصّ الروائي، فهي تجمع الجمل السابقة مع اللاحقة أو العكس من خلال الإحالة النصّية بعدية كانت أو قبليّة، وفي أحيان أخرى تجمع الإحالة بين النصّ ومقامه الخارجي عبر توظيف الإحالة المقامية الخارجية، فهي ليست مجرد ربط للجمل فقط وإنما فيها دلالة على ترابط الأحداث.

وإن كانت الإحالة تخلق نصّية النصوص عموما، فهي في الأعمال الروائية تخلق نسقا من التتابع و نسقيّة لسردية الأحداث لا يمكن الاستغناء عنها، فعلى الرغم من أنّ الخطاب الروائي يتشكل من متواليّة من الجمل إلّا أنّنا نقف على " المقولات الأساسية للفعل السردى نعثر على: الأزمنة، والمظاهر، والصيغ، والضمائر"⁶، والتي تخلق بدورها شبكة علائقية تُدللنا على مدى تماسك النصّ وتأخذ أوله بأخره.

2.1.3- الاستبدال: يقع الاستبدال في النصّ من خلال تعويض عنصر لغوي بعنصر معجمي آخر، ويكون إمّا اسميا أو فعليا أو استبدالا جمليا، ومن أمثله في الرواية:

الاستبدال	المُستبدَل	نوع الاستبدال
حبيبته (ص 09)	نيسة بوتوس	استبدال اسمي
أمّه (ص 10)	الأخرى	استبدال اسمي
حليم بن صادق (ص 19)	حليم الجورناليست	استبدال اسمي
ربّما لم يكن على عمّار أن يلح على أمّه بالسؤال لكنّه فعل (ص 10)	فعل	استبدال فعلي
لعلّ كل البنات يفعلن ما فعلته (ص 13)	يفعلن فعلته	استبدال فعلي
لا عار لا والو (ص 13)	لا	استبدال قولي
بالطبع سيّدي (ص 37)	بالطبع	استبدال قولي
نعم زوجي (ص 52)	نعم	استبدال قولي

من خلال استقراء الجدول وما ورد فيه من أمثلة نتبين أنّ الاستبدال قد وقع في الرّواية بكل صورته: اسمي، فعلي وقولي، وفي ذلك دلالة على غنى لغة الرواية وقدرة الكاتب على استعمال مفردات اللغة العربيّة ووضعها موضعها الذي يليق بها، فالكتابة فن وصنعة لذلك وجب على الكاتب أن "يتخيّر من الألفاظ أرجحها وزنا، وأجزلها معنى، وأليقها في مكانها، وأشكلها في موقعها"⁷. ومن خلال عنصر الاستبدال يمكن لنا أن نتفادى التكرار المخلّ بنظام بنيّة النّصوص والباعث على النّفور والملل. وفي مواطن كثيرة يخلق لنا نوعا من الاقتصاد اللّغوي غير المخلّ بالبنيّة.

3.1.3- الوصل: هو عبارة عن علاقة يرتبط بها عنصر لاحق بعنصر سابق، بطريقة منتظمة، فأدوات الربط أو الوصل-على اختلاف في الترجمة- هي وسيلة بناء لتفسير ما سيقدم في علاقته بما سبقه. وهو أنواع نتعرف عليها من خلال ما ورد منها في الرواية:

الوصل الإضافي: يقوم الوصل الإضافي بربط الأشياء التي لها نفس الحالة، ويتم بأحرف وأدوات: الواو، كذلك، أو، الفاء... وقد وظّفها الرّوائي في مواطن شتّى أثناء سرده لأحداث الرواية. يقول الرّوائي:

1- "لم يعد متأكدا منذ أقل من ثانيّة، فعلى الأقل لم يكن يعلم أنّ مشهد" ص 07.

2- "فقد كان يرغب أن تصل قدماه الأرض أولاً، وبذلك لن يصيب وجهه أيّ مكروه، ولكنّه اكتشف استحالة الأمر، فلم يكن قادراً على التّحكّم في جسده فتملّكه الإحباط " ص 07.

3- "إلا أنّ هذه كانت رواية أمّه فحسب، أو أنّها كانت القصّة غير المكتملة" ص 10:

الوصل العكسي أو الاستدراكي: تتجسّد وظيفة هذا الوصل في الربط بين الكلمات المتنافرة والأسماء المتعاكسة داخل النّص، وقد تجسّد في الرّواية بمختلف أدواته: مهما، أمّا، لكنّه، رغم أنّ، هكذا، وغيرها. ومن بين العبارات التي احتوت على أدوات الوصل العكسي في الرّواية:

1- "مهما يكن هي مجرد امرأة طعنّت في كرامتها" ص 16:

2- "كم يستغرق من وقت ليرتطم بالأرض، أمّا عن فرص نجاته" ص 11:

3- "ولكنّه اكتشف استحالة الأمر" ص 07.

4- "ورغم أنّ لا علاقة لانتحاره بالحب" ص 08.

5- "وهكذا ستذكره الجرائد مرتين": ص 08.

الوصل السببي: يمكّننا هذا النوع من الوصل من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر ومن بين الأدوات التي يتحقّق بها: لذلك، لأنّ، لهذا ولهذا، ومن أمثله:

1- "لذلك فقد حاول منذ ثماني سنوات أن يتزوج" ص 18.

2- "بمن فيهم [عمار الطونبا] لم ينس سبب تسميتها بهذا الاسم ... " ص 09.

3- "ربّما لأنّه لم يجد مكاناً يأوي إليه" ص 95.

الوصل الزمني: هو عبارة عن علاقة تتابع زمني تحدث بين جملتين أو أكثر، ومن أمثله في "يوم رائع للموت" نجد:

1- "فلم يكن يتصوّر أنّها على هكذا ضخامة، ثمّ سرعان ما كره" ص 11.

2- "حاول لسنوات أن يقنع أباه...، حتى يئس لولا رحمة الموت" ص 09-10.

من خلال العبارات التي أوردناها يظهر جلياً اهتمام الكاتب بأدوات الوصل، وهذا ما وقفنا عليه من خلال ضبطنا لأنواع الوصل الأربع في طيّات الرواية، فحقيقة أنّ أدوات الربط ميزتها ربط السابق باللاحق، على الرغم من ذلك فإنّ وظائفها تختلف، وهذا ما بيّناه من خلال الأمثلة الواردة.

5.1.3- الاتساق المعجمي: التكرار:

1- "إلا أن هذه كانت رواية أمّه فحسب، أو أنّها كانت القصّة غير المكتملة" ص 10.

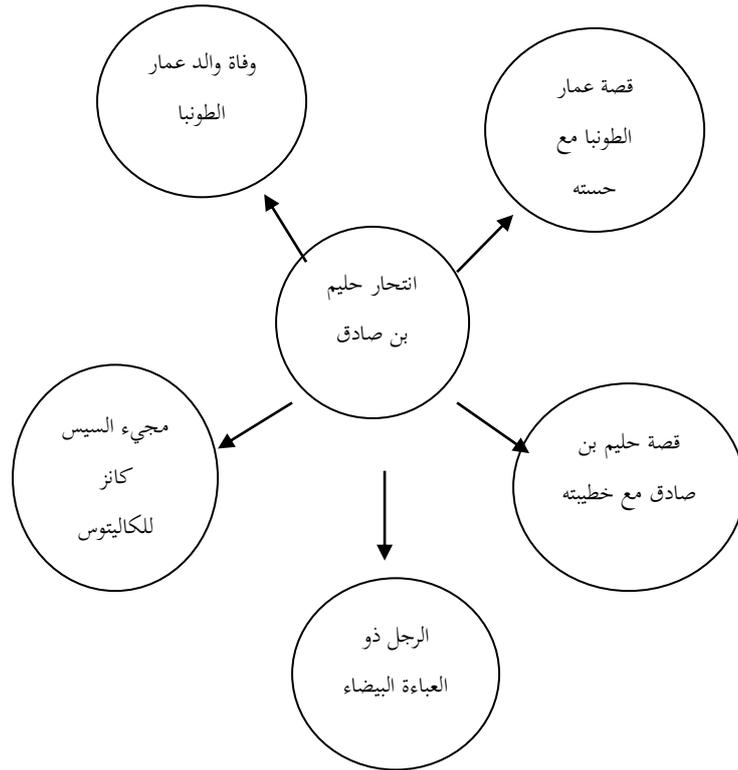
2- "ولعلّها المرة الأولى التي يستغرب فيها من ضخامة بطنه، فلم يكن يتصور أنّها على هكذا ضخامة" ص 11.

3- "هذه حال كل بنات اليوم...ثمّ إنّ الزّواج يغيّر النّساء" ص 13.

2.3- الانسجام: إذا كان البحث في وسائل الاتّساق بحث على المستوى الأفقي؛ السّطحي للنّص فإنّ الانسجام إنّما هو بحث على مستوى البنية العميقة للنّص، وقد أشار فان ديك في معرض حديثه عن طرق انتظام النّص إلى جملة من الآليات التي تسهم في انسجام النّص، تبدأ بالترابط وتنتهي عند حدود الأبنيّة العليا والأبنيّة الصغرى.

1- خاصيّة التّرابط: تتحقّق هذه الخاصيّة من خلال ترابط أحداث ووقائع النّص لتدور حول موضوع

واحد، وهذا ما نلّفه في رواية "يوم رائع للموت" فحتّى وإن تعدّدت الأحداث والوقائع إلا أنّ الراوي وارتكازا على خاصيّة الحكمة السردية قد حقّق هذا المبدأ فجعل كلّ الأحداث التي عرضها في الرواية لها وثيق الصّلة بالحدث الرّئيس ألا وهو انتحار البطل [حليم بن صادق] ويمكن أن نعرض ذلك في المخطّط الموالي:



من خلال التّمثيل البياني ندرك بأنّ الرّوائي "سمير قسيبي" قد بنى روايته على حدث رئيسي هو انتحار البطل "حليم بن صادق" في يوم رائع للموت، ثمّ جعل بقيّة الأحداث الثّانوية كعوامل مساعدة لبناء الرواية كقصته مع خطيبته، صداقته مع [عمار الطونبا] وقصة هذا الأخير مع حبيبته [نيسة بوتوس] ووفاء [والد عمار]، في حين جاء وصفه للرجل ذو العباءة البيضاء ومجيء [السيس كانز] للرجل المجنون لمدينة الكاليتوس

بمثابة الأحداث الرابطة لخيوط الرواية، فقد وظّفها الروائي كمحرّكات تحيل دائما لما سيأتي من أحداث القصة وواصفة للمحيط الخارجي المحيط بالحدث الرئيس.

2- موضوع الخطاب: يقصد بموضوع الخطاب أن يكون للنص فكرة عامة تدور حولها الوقائع والأحداث، من ثم تكون جملة الترسبات التي ترسخت في ذاكرتنا تشكل لب موضوع النص، هذا بصفة عامة أمّا فيما يتعلق بالرواية التي هي قيد الدراسة فإننا يمكن لنا أن نستشف موضوعها من خلال عتبة النصّ الروائي وهي العنوان: "يوم رائع للموت"، فالعنوان يعطينا دلالة على أنّ أحداث الرواية تنطلق بداية من البحث عن يوم غير عادي للموت، وكل الأحداث تتجمع وتتكاثر لتشكل لنا صورة واضحة عن هذه العتبة. من ثم ندرك ومن الصفحة الأولى أنّ الموضوع هو موضوع انتحار.

3- التدرّج: "فالتدرّج.... هو ما من شأنه أن يجعل القارئ يحس أن للنص مساراً معيناً، وأنه يتجه نحو غاية محددة. ويجعله يتوقع في مرحلة ما من مراحل النص ما سيأتي بعدها"⁸، وبالنسبة لروائي فقد حافظ على رتابة هذه الخاصية بالإضافة إلى توظيفه لتقنيات السرد كالاسترجاع أو الاستباق مثلاً، فالقارئ أول ما تقع ناظره تقع على سرد أحداث انتحار البطل [حليم بن صادق] وهو يهوي من أعلى بنايات عدل ببلدية الكاليتوس، من ثم ذهب يسرد الأحداث تباعاً منها الثانوي ومنها الرئيسي وأثناء حبكه لها قد جعلها "القسيمي" تشكل توليفة حول الحدث الرئيس ألا وهو انتحار البطل.

لقد بدأ الروائي روايته من الحدث الرئيس "قصة الانتحار" والذي هو حدث في حقيقة الأمر يتنزل كل الأحداث، وهذه نمطية تفرضها طبيعة السرد، وبالرغم من ذلك فالروائي قد حافظ على رتابة البنية الحكائية وتدرّجها. فمن "حدث الانتحار" إلى قصة [حب عمار] إلى معيء [المجنون] وغيرها من الأحداث التي كانت تتداخل حيناً وتباين حيناً آخر.

4- ترتيب الخطاب: إنّ ما يمكن قوله عن مسألة ترتيب الخطاب هو؛ أنّ القارئ يلج النص بمعرفة مسبقة تساعده في عملية تأويل النص أو تفسيره، "فالتماسك لا يحفر في النص، ولكن يظهر في جهود القراء لبناء المعنى وتوحيد التفاصيل في النص داخل كل متماسك"⁹.

3.3- القصديّة: تخضع بنية الخطاب النحويّة والدلاليّة لقصديّة المؤلف، فهي الموجه لهذه البنية والمحرّك لها، تتجسّد قصديّة الزاوي على بعدين:

إنّ قصد الروائي في هذه الرواية يتجه نحو قصدين أو غايتين، فالأول: تمثلت في قراءة شخص وفكر المواطن الجزائري، آلامه وآماله، واقعه وأحلامه، إذ نلفي الروائي "سمير قسيمي" لا يدخر جهداً في أن يكشف عن وقائع تحيط بيوميات المواطن الجزائري سواء تعلّق الأمر بشخصياته الرئيسيّة ك[حليم بن صادق] وحبيبته، أو [عمار الطونبا] وحبيبته [نيسة بوتوس]. أو حتّى الشخصيات الثانويّة ك[أم عمّار]، [السييس كانز المجنون]، والرجل ذو العباءة البيضاء.

1- حليم بن صادق: شاب جزائري مثقف يمتن الصحافة، ولكن ظروفه الاجتماعية القاهرة لم تتركه له خيار غير الانتحار، فهو يعمل ولا يتقاضى راتبه لأشهر، ثمّ أنّه يعمل على ردّ ديون والده وهذا ما زاد الطّينة بلّة، لتكون خيانة خطيبته له القشة التي قسمت ظهر البعير أقدم على إثرها على الانتحار. انتحاره هذا كان مخطّطا له لأنّه حاول أن يكون انتحارا ذا شهرة تذكره الصّحافة به لأيام، بحيث يكون "يوما رائعا للموت". إذا في المجتمع الجزائري لا يوجد اعتبار للثقافة والتّعليم فبالرغم من أنّ حليم متعلم ومثقف إلاّ أنّه لم يحصل على فرصة للتأسيس لمستقبله، ثمّ إنّ ثقافته هذه لم تجعله يتراجع عن انتحاره هذا رغم أنّ قتل النَّفس في الشريعة الإسلاميّة محرّم.

2- عمار الطونبا: يمثل فئة الشّباب الذين يعانون الضّيع في المجتمع بإدماهم على المخدرات ليلا نهارا، ثمّ تجتمع جملة من العوامل لتغيّر حياة هذا الشاب كعدم قبول والده زواجه من [نيسة] ثمّ وفاته تخليّ حبيبته عنه، ومعرفته بأنّ والدته من قتلته. هذه الظروف اجتمعت لتجبر [عمار] على تغيير مكان إقامته ليصبح في الأخير مصلح أحذية، في حين يظن الجميع أنّه من دهسه القطار.

3- نيسة بوتوس: فتاة يتيمة كانت ضحيّة للمعلم الذي اغتصبها، لتصبح بسبه فتاة عاهرة، ينوي عمار الزواج بها لكن والده يرفض ذلك بسبب سمعتها واسمها الذي لم تنطقه جيّدا بالفرنسية ليصبح بعد ذلك لقبها لها (pour tous).

4- الرجل ذو العباءة البيضاء البيضاء: قدّم الرّوائي لهذا الرّجل وصفا دقيقا عن لباسه الأنيق، قد كان يتجه للمسجد لأداة صلاة الجمعة وكأنّه "أمير" إلاّ أنّ الرّوائي أراد من خلال هذه الشّخصيّة كشف اللثام عن واقع عقليّة الفرد الجزائري، فهو يدعي الحرص على الدّين وأداء الصّلاة في وقتها، إلاّ أنّه لا يتقيّد بتعاليم الدّين في أبسط صوره، ألا وهو الحفاظ على نظافة المسجد كما سنذكر في تعريته للواقع المعيش. ثمّ إنّ "القسيبي" قد عرض هذه الشّخصيّة لنفس الموقف فكما لم يحافظ على نظافة المسجد فقد تعثر في القمامة بعد خروجه من المسجد، وكأنّه عقاب إلهي.

أمّا قصده الثّاني فكان يتجه نحو تعريّة الواقع؛ واقع المجتمع الجزائري وذلك يظهر جليّا من بداية الرواية إلى نهايتها، من خلال حديثه عن الحياة المعاشة وإحاطته بكلّ حيثيات ومتعلّقات شخصيات الرّواية كما أفردنا سابقا، أو من خلال بعض العبارات:

- 1- (بعد أن تعثرت قدماه بشيء ما، أدرك الخطأ الفادح الذي ارتكبه، حين وثق بالرّصيف في وطن ما أيسر فيه أن يصبح الرّصيف طريقا والطريق رصيفا)¹⁰.
- 2- (غير بعيد من مكان [حليم بن صادق]، وصل إلى الكاليتوس مجنون أضيف إلى قائمة مجانيها)¹¹.
- 3- (ولكنه كان أقلّ قذارة مما كانت عليه الأرصفة التي زيتتها أكياس قمامة سوداء حاصرتها بعض القطط بحثا عن الأكل،... ولكنّها سرعان ما انسحبت يائسة، بعد أن تأكّدت من خلو الأكياس مما يصلح

4- للأكل، وكأنّ النَّاس لم يعودوا يأكلون لحما أو سردينا، أو ربّما أصبحوا يأكلون اللحم بعظمه والسردين بشوكه)¹².

5- (كان الإمام يخطب في النَّاس حول النّظافة في الإسلام، وكان الجميع يتظاهر بالفهم والخشوع، بمن فيهم صاحب القميص الأبيض رغم انشغاله بأنفه، فقد شعر بثيء يسد منخاريه، فأدخل إبهامه في أنفه بحثا عنه، وحين وجده، اكتشف أنّه لا شيء مهم، فمسح يده على سجاد المسجد، وهو لا يكف عن هزّ رأسه موافقا على ما كان يقوله عن النّظافة...)¹³.

هذه نماذج من العبارات التي سردها الرّوائي والتي عمد من خلالها إلى الكشف عن الحياة في المجتمعات الجزائريّة، من غياب للثقافة دينية واجتماعيّة وإنسانيّة، والتي عمدت في حقيقتها إلى التّأثير على ظروف اليوميّة. وبالتالي كانت قصديّة الكاتب في هذه الرواية تعريّة لواقع المجتمع الجزائري ونقد له أحيانا نقدا جادا، وفي أحيان أخرى نقدا ساخرا.

4.3- المقبوليّة: ليتحقّق معيار المقبوليّة والذي فيه دلالة على نجاح النّص، وجب توفر جملة من العوامل والتي تؤثر في تقبل المتلقي للنّص، ف"النّص يكتسب حياته من خلال المتلقي، إذ يفك شفرته، ويستخرج ما فيه. ويتوقف ذلك على ثقافته وأفقه ومعرفته بعالم النّص و سياقه. ذلك الأفق الذي يمكنه من إدراك ما في النّص من أفكار ومبادئ وجماليات، كما يمكنه من ملء الفراغ الكامن بين عناصر ذلك النّص، وعلى وجه الخصوص ما يتصلّ بحذف العديد من العناصر في النّص"¹⁴، سنفرد هذه العوامل المؤثرة¹⁵ في عمليّة متوازيّة مع رواية "يوم رائع للموت":

1- معرفة المتلقي بنوع النّص ومنتجه: رواية "يوم رائع للموت" للرّوائي [الجزائري سمير القسيبي].

2- معرفة قصد الكاتب (دلالة النّص العامّة): وقد أشرنا في ما سبق أنّ الرّوائي يعمد لتعريّة الواقع.

3- أهميّة النّص بالنّسبة لمتلقيه: كون الرّواية تتحدث عن واقع مجتمع معيّن، والحياة المعيشة فيه. ففي هذا دلالة على أهميّتها بالنّسبة للمهتمين بهذا النوع من الأدب، خاصّة أفراد المجتمع المتحدّث عنه.

4- الخلفيات الفكرية والإيديولوجية لمستقبل النّص: إذا أردنا أن نأخذ الخلفيات الفكرية والإيديولوجية بعين الاعتبار في تقبل النّص، فإنّ الرواية سيحدث قبلها في المجتمع العربي عموما والمجتمع الجزائري على وجه الخصوص. كون أنّ القارئ الجزائري يحمل نفس الأفكار ونفس المرجعيات السّائدة في البلدان العربيّة الأخرى، وهو بذلك يعيش وفقا للنّمطيّة التي سردها الرّوائي "سمير القسيبي" في روايته.

5- الحالة النّفسيّة للمتلقي: تعتبر الحالة النّفسيّة للمتلقي من أهم العوامل المؤثرة في تلقي النّص، فعلى الرغم من أنّ الكاتب وهو يقوم بفعل الكتابة يضع في مخيلته ذلك القارئ الضمني الذي سيتلقى النّص، وهذا ما يجعله يتخيّل ردود أفعاله، على الرغم من ذلك تبقى نفسيّة المتلقي الحقيقي الفيصل والحكم في عمليّة التّقبل، ورواية "يوم رائع للموت" قد بنى الكاتب فيها أحداث الرواية معتمدا على جملة من الرّكائز التي يجعل بها المتلقي بنفسيّة تقبليّة من ذلك:

- 1- اللّغة البسيطة العاديّة القريبة إلى الاستعمالات اليوميّة.
- 2- تطابق وقائع الرواية مع وقائع المجتمع الجزائري، خاصة وأنّ الرّوائي يتحدث عن مجتمعه ما جعله محترفا وبارعا في الغوص إلى أعماق هذا المجتمع.
- 3- ربط الأحداث ببعضها البعض بالاعتماد على تقنية الاسترجاع، فحتى وإن كانت تبدو للوهلة الأولى مفككة الأوصال، إلّا أنّنا نصل في نهاية الأمر إلى مكمن وسر ذلك الترابط الخفي بين أحداث الرواية ووقائعها. مثلا: كحديثه عن [حكيم الكوردوني] في وسط الرّواية، قد يتساءل القارئ عن حقيقة هذه الشّخصيّة، لنصل في نهاية المطاف ونتعرف على هذا الشّخص بأنّه [عمار الطونبا]. وقبل ذلك وصف لنا "الرجل بالعباءة البيضاء، والذي وصفه بالمنظر الأميري ووصف لنا تعثره في الطريق بسبب الصندل الممزق"، وكان ذلك ليوصلنا إلى أنّ مصلح الأحذية قد نصحه بأنّه لن يصمد طويلا، ليكون هذا المصلح هو [حكيم الكوردوني]؛ [عمار الطونبا]، وهذا من بين الأمثلة التي تدلّنا على طريقة انبناء الرّواية، ومدى عناية الرّوائي بذلك عناية منه بقارئ الرّواية.

5.3- الإعلاميّة: تتميّز الرّواية بحبكة سردية معقّدة وهذا ما يحقّق فيها معيار الإعلاميّة، ويمكننا أن نقف على أهم المحطّات التي من خلالها يتحقّق لنا معيار الإعلاميّة:

أولا: بنية الرواية الخارجيّة: فصل أوّل، فصل أول مكرر: ذكر فيه الكاتب بعض الأحداث التفصيليّة لم يتعرض لها في الفصل الأوّل، ثمّ الفصل الثاني وقد ضمّنه نهاية الرّواية.

ثانيا: جمع الرّوائي في يوم رائع للموت جملة من الأحداث والوقائع والقصص وحبك بينها وفق تقنية الاسترجاع، فغالبا ما كان يربط بين أحداث حاضرة وأخرى ماضيّة من خلال ما تتذكره الشّخصيات أو تقف عليه. وفي ذلك كلّه كسر لنمطيّة التتبع ورتابة السرد وهذا يتطلب من القارئ فطنة وقدرة عاليّة في التّدبر ليتمكن من ربط خيوط الرّواية مع بعضها البعض، وهذا عامل من عوامل تحقّق معيار الإعلاميّة.

ثالثا: عنوان الرواية: "يوم رائع للموت" يجعل القارئ يجري وراء أحداث القصة وتتبعها حتى يصل لنهاية الرواية، وفي رحلته بين أحداث هذه الرّواية يبحث عن تجليات هذا اليوم الرائع للموت خاصّة وأنّ الرّوائي بدأها بوصف لحليم بن صادق وهو في مقبل على الانتحار، ولكن وفي ختام الفصل الثاني يكتشف القارئ أنّ [حليم بن صادق] بطل الرّواية لم يمّت وفق ما خطّط له. فالنّهاية قد حقّقت فعلا معيار الإعلاميّة إذ لم يتوافق توقع القارئ مع ما نسجه الرّوائي في روايته.

6.3- المقاميّة: السياق عند [فان ديك] هو معرفة العالم وتتمثل في مجموع الخبرات التي يكتسبها الفرد من خلال واقع حياته الاجتماعيّة، ذلك أنّ النّص ينبثق من بيئته ليعود إليها¹⁶، فأبي قارئ يلج نصّا ما لا يمكن أن يكون دخوله بريئا، فدائما يحمل معه معرفة خارجيّة عن النص تكون متعلّقة بالمؤلف أو المحيط الذي كتب فيه هذا النص، يقول [بيير غيرو]: "إنّ الغموض الذي يلف العلامة المتعددة الدلالات يزول حين توضع في سياقها"¹⁷.

ورواية "يوم رائع للموت" قد حملت في ثناياها دلالات سياقية تعين القارئ على فهم غايات ومقاصد الكاتب، كما تعمل على مدّه بمفاتيح لفك شفرات هذا النص، فإنّ ما عمدت إليه دور النشر للتعريف بالكاتب أنّه روائي من الجزائر في الخلفية الثّانية للمؤلّف على اعتبار أنّ معرفة انتماء الشّاعر تسهم في معرفة مدى مصداقية ما يتحدث عنه فلا أجمل من أن يكون الكاتب معبّراً عن انشغالات أبناء بيئته وهم لحال مجتمعه.

أمّا عن ارتباط المضمون ببيئته فقد عمد الروائي "سمير القسيبي" في كذا من موضع إلى أن يشير إلى أسماء ومعالم فيها دلالة على تواشج بين النص والسياق الذي ورد فيه، من بين الاستخدامات السياقية التي وظّفها الروائي

نجد من المسميات التي يعرف بها المجتمع المغربي والجزائري على وجه الخصوص: [عمار الطّونبا]، [نيسة بوتوس]، [نبيلة ميحانيك]، [حكيم الكوردوني]، [المسطولين]، [السييس كانز]، اتحاد الحراش واتحاد العاصمة... الخ وكلّها مسميات وأسامي شائعة في المجتمع المغربي. أمّا عن الأماكن التي دارت فيها أحداث الرواية نجد: [الكاليتوس، باش الجراح، لوتسمان]، عمارات ADI (وهي عمارات أنشأتها الدولة الجزائرية كحلول للأزمات السكنية التي تعرفها الجزائر)، محطة بروسات.

ربما قد تشكل بعض هذه المسميات غموضاً لدى القارئ غير الجزائري، إلا أن الكاتب قد راعى ذلك فنلفيه بهمّ بشرح بعض المصطلحات التي تبدو غامضة لكل من ليس له معرفة بالثقافة الجزائرية.

7.3- التّناس: نلّف في الرواية قد وقع التّناس بشكليه، مباشر وغير مباشر: تناس مباشر في قوله: (صام عام وفطر على جرانة)¹⁸، وهذا استشهاد بأحد الأمثلة الجزائرية المتداولة وتعني أنّ الانسان يصبر مدّة ثم عندما تفرج عليه ضائقته لا تكون حسب ما كان يتمنّى وكان ينتظر، وقد وظف الروائي المثل بصورة مباشرة لذلك قلنا عنه بأنّه تناس مباشر.

أمّا التّناس غير المباشر مع حقائق جاءت في الثقافة الدينية في قوله: (فقد كان في الأربعين من العمر، وهو عمر إن لم يبعث فيه الرّجل نبياً، فلا أقل من أن يكون قد كوّن أسرة ورأى ذريته)¹⁹، فالمتعارف عليه أنّ الانسان في سنّ الأربعين يكون متزناً يحتكم للعقلانية في تصرّفاته وهذا ما عرف عن الأنبياء أنّهم بعثوا في سنّ الأربعين خاصة ما نقل عن نبيّ الأمة محمد صلى الله عليه وسلّم، وما جاء به الرّواي "سمير القسيبي" في هذا المقطع يطابق قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وُلْدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنَّي تَبْتُ إِلَيْكَ وَإِنَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ سورة الأحقاف الآية 14 . إلا أنّ حليم بن صادق لم يعرف من ذلك شيئاً.

خاتمة:

ختاماً لبحثنا قد توصلنا إلى جملة من النتائج نجمها فيما يلي:

- يعتبر التماسك النصّي علامةً فارقيةً بين النصوص عامةً والنصوص الأدبية خاصةً، ذلك أنّ كلّ نصٍّ أدبيٍّ يحتمل خصائصه المائزة له دون غيره.

- يملُكُ المُحلَّلُ الألسني النَّصِّي من الآليات ما تُخَوِّلُهُ الكَشْفُ عن كِيفِيَّاتِ وطُرُقِ بِناءِ النَّصِّوصِ.
- لا يتوقَّفُ المُحلَّلُ الألسني النَّصِّي في تحليله للنَّصِّوصِ عند حدود البِنِيَّةِ اللَّغَوِيَّةِ بل يتعدَّها إلى البِحثِ في المقاصد وضمانيات الخطابات الأدبية.
- تعتبر رواية "يوم رائع للموت" لسمير القسيبي رواية واقعيَّة تنطلق من الواقع وتعود إليه.
- في رواية يوم رائع للموت يمكن لنا أن نقف على جملة من الخواص النَّحْوِيَّةِ والدَّلاليَّةِ والتي ساهمت في خلق تماسك النَّصِّ وترابطه داخليًا.
- يحوي الخطاب الرَّوائي لسمير القسيبي يوم رائع للموت تماسكا نصيًّا قويًّا جمع بين تماسك البنى اللَّغَوِيَّةِ للخطاب وحتَّى البنى الخارِجِيَّةِ؛ ما تعلق بمقاصد المؤلِّف وحالات تلقِّي الخطاب..

الهوامش:

- 1- محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النَّصِّ ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف/الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر/لبنان، ط1، 2008، ص59.
- 2- ينظر: دي بوجراند، النَّصِّ والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط01، 1998، ص103-105.
- 3- سليمان حسين، مضمرة النَّصِّ والخطاب، دراسة في عالم جبرا إبراهيم جبرا الرَّوائي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، ص378.
- 4- سمير القسيبي، يوم رائع للموت، الدار العربية للعلوم ناشرون/ منشورات الاختلاف، لبنان/ الجزائر، ط01، 2009، ص09، ص10، ص17.
- 5- رولان بارث وآخرون، طرائق تحليل السِّرد الأدبي (دراسات)، تر: حسين بحراوي، بشير القمري، عبد الحميد عقار، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط01، 1992، الرباط المغرب، ص11.
- 6- رولان بارث وآخرون، المرجع السابق، ص12.
- 7- ابن المدبِّر، الرسالة العذراء، تصحيح: زكي مبارك، مكتبة دار الكتب المصريَّة، القاهرة، ط01، 1931، ص21.
- 8- محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النَّصِّ ومجالات تطبيقه، ص83.
- 9- عزة شبل محمد، علم لغة النَّصِّ، النظرية والتطبيق، السابق، ص184.
- 10- سمير القسيبي، المرجع السابق، ص35.
- 11- المرجع نفسه، ص89.
- 12- قسيبي، السابق، ص89-90.
- 13- نفسه، ص113-114.
- 14- نبيلة إبراهيم، القارئ في النَّصِّ (نظرية التأثير والاتصال)، مجلة فصول، ع1، 1984، ص213.
- 15- عن: حسام أحمد فرج، نظرية علم النَّصِّ رؤية منهجية في بناء النَّصِّ النَّثري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 2007، ص55-56.
- 16- ينظر: تون فان ديك، النَّصِّ والسياق استقصاء البِحثِ في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2000، ص258-259.
- 17- علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري، من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، دط، ص39.
- 18- سمير القسيبي، يوم رائع للموت "الرَّواية"، ص13.
- 19- المرجع نفسه، ص10.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع عن طريق الأزرق.
- 1- دي بوجراند، النَّصِّ والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط01، 1998.
- 2- محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النَّصِّ ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف/الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر/لبنان، ط1، 2008.
- 3- سليمان حسين، مضمرة النَّصِّ والخطاب، دراسة في عالم جبرا إبراهيم جبرا الرَّوائي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط.
- 4- سمير القسيبي، يوم رائع للموت، الدار العربية للعلوم ناشرون/ منشورات الاختلاف، لبنان/ الجزائر، ط01، 2009.

- ⁵ - رولان بارث وآخرون، طرائق تحليل السرد الأدبي (دراسات)، تر: حسين بحراوي، بشير القمري، عبد الحميد عقار، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط01، 1992، الرباط المغرب.
- ⁶ - نبيلة إبراهيم، القارئ في النص (نظرية التأثير والاتصال)، مجلة فصول، ع1، 1984.
- ⁷ - حسام أحمد فرج، نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 2007.
- ⁸ - تون فان ديك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2000.
- ⁹ - علي آيتأوشان، السياق والنص الشعري، من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، دط، دت.
- ¹⁰ - عزة شبل محمد، علم لغة النص، النظرية والتطبيق،
- ¹¹ - ابن المدبر، الرسالة العذراء، تصحيح: زكي مبارك، مكتبة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط01، 1931.